

تفسير أبي السعود

27 - تعالى لقد أرسلنا رسلنا الخ وتكرير القسم لإظهار مزيد الاعتناء بالأمر أي وبأن
لقد أرسلناهما وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب بأن استنبأناهم وأوحينا إليهم الكتب
وقيل المراد بالكتاب الخط بالقلم فمنهم أي من الذرية أو من المرسل إليهم المدلول عليهم
بذكر الإرسال والمرسلين مهتد إلى الحق وكثير منهم فاسقون خارجون عن الطريق المستقيم
والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم والإيذان بغلبة الضلال وكثرتهم ثم قفينا على
آثارهم برسولنا أي ثم أرسلنا بعدهم رسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم أي أرسلنا رسولا بعد
رسول حتى انتهى إلى عيسى ابن مريم عليه السلام والضمير لنوح وإبراهيم ومن أرسلنا إليهم أو
من عاصروهم من الرسل لا للذرية فإن الرسل المقفى بهم من الذرية وآتيناها الإنجيل وقرئ بفتح
الهمزة فإنه أعجمي لا يلزم فيه مراعاة أبنية العرب وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة
وقرئ رأفة على فعالة ورحمة أي وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه في شأن أصحاب
النبي E رحماء بينهم ورهبانية منصوب أما يعقل مضمرة يفسره والظاهر أي وابتدعوا رهبانية
ابتدعوها وأما بالعطف على ما قبلها وابتدعوها صفة لها أي وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة
ورهبانية مبتدعة من عندهم أي ووفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها وهي
المبالغة في العبادة بالرياضة والانقطاع عن الناس ومعناها الفعلة المنسوبة إلى الرهبان
وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشى وقرء بضم الراء كأنها نسبة إلى الرهبان وهو جمع
راهب كراكب وركبان وسبب ابتداعهم إياها أن الجابرة طهروا على المؤمنين بعد رفع عيسى
عليه السلام فقاتلوهم ثلاث مرات فقاتلوا حتى لم يبق منهم إلا قليل فخافوا أن يفتتنوا في
دينهم فاختاروا الرهبانية في قلة الجبال فارين بدينهم مخلصين أنفسهم للعبادة وقوله
تعالى ما كتبناها عليهم جملة مستأنفة وقيل صفة أخرى لرهبانية والنفى على الوجه الأول
متوجه إلى أصل الفعل وقوله تعالى إلا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع أي ما فرضناها نحن
عليهم رأسا ولكنهم رأسا ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فذمهم حينئذ بقوله تعالى فما رعوها
حق رعايتها من حيث إن النذر عهد مع الله لا يحل نكته لا سيما إذا قصد به رضاه تعالى وعلى
الوجه الثاني متوجه إلى قيده لا إلى نفسه ولا استثناء متصل من اعم العلل أي ما كتبناها
عليهم بأن وفقناهم لا بتداعها لشيء من الأشياء إلا لابتغوا بها رضوان الله ويستحقوا بها
الثواب ومن ضرورة ذلك أن يحافظوا عليها ويراعوها حق رعايتها فما رعاها كلهم بل بعضهم
فآتينا الذين آمنوا منهم إيمانا صحيحا وهو الإيمان برسول الله A بعد رعاية رهبانيتهم لا
مجرد رعايتها فإنها بعد البعثة لغو محض

